## ❁ الشهادتان ❁

**(٣٦) تقول السائلة من الأردن: يا فضيلة الشيخ محمد ما هي شروط لا إله إلا الله؟ وضحها لنا يا شيخ، جزاكم الله خيرًا.**

**فأجاب -رحمه الله تعالى-**: لا تحتاج إلى شروط تُوَضَّحُ، واضحة بنفسها، لا إله إلا الله يعني: لا معبود حق إلا الله، يجب أن يشهد الإنسان بذلك، بقلبه، ولسانه، وجوارحه.

**أولا: بقلبه**: يعتقد اعتقادًا جازمًا أنه لا معبود حق إلا الله، وأن جميع ما يعبد من دون الله فهو باطل، كما قال -تعالى-: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

**ثانيًا: أن يقول ذلك بلسانه**: ما دام قادرًا على النطق، لأن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: «**حتى يشهدوا ألا إله إلا الله**»[1] فلا بد من النطق لمن كان قادرًا عليه، أما الأخرس فيكتفى باعتقاد قلبه.

**ثالثًا: لا بد من تحقيق هذه الكلمة**، وذلك بالعمل بمقتضاها، بأن لا يعبد إلا الله، وأن لا يصرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله، فمن أشرك بالله ولو شركًا أصغر فإنه لم يحقق معنى قول: لا إله إلا الله، ومن تابع غير الرسول -عليه الصلاة والسلام- مع مخالفته للرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فإنه لم يحقق معنى لا إله إلا الله، ولهذا كان النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يكتفي بقول: لا إله إلا الله، حتى فيما يظن الإنسان أنه قالها غير مخلص بها، لحق أسامة بن زيد بن حارثة رجلًا مشركًا، فلما أدركه قال الرجل: لا إله إلا الله، فظن أسامة أنه قال ذلك خوفًا من القتل، فقتله، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لأسامة: «**أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله**»؟ قال: يا رسول الله إنما قالها

---

(١) تقدم تخريجه.

تعوذًا! فجعل يكرر الرسول ﷺ ويقول: «**ما تفعل بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة**»؟ يقول: حتى تمنيت أنني لم أكن أسلمت من قبل.[1]

فلهذا نقول: لا بد من النطق بها باللسان، والعمل بمقتضاها بالأركان، والاعتقاد بمعناها ومدلولها في الْجَنَان، أي: في القلب.

***

**(٣٧) يقول السائل ع. أ. من السودان: ما هي شروط كلمة التوحيد لا إله إلا الله؟**

**فأجاب -رحمه الله تعالى-**: لا بد أن نعرف أولًا معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله، فمعناها: لا معبود حقٌّ إلا الله، فكل ما عبد من دون الله من ملكٍ، ونبيٍ، ووليٍ، وشجرٍ، وحجر، وشمسٍ، وقمر باطل، لقوله -تعالى-: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢] هذا معنى هذه الكلمة العظيمة.

**وهي مبنية على ركنين**: نفي وإثبات، نفي الألوهية عما سوى الله، وإثباتها لله، فباجتماع النفي والإثبات يتحقق التوحيد، ووجه ذلك أن النفي المحض الذي لا يقترن بإثباتٍ هو عدم، وأن الإثبات المحض الذي لا يقترن بالنفي إثباتٌ لا يمنع المشاركة، فلا يتحقق التوحيد إلا بإثبات ونفي، نفي الحكم عما سوى من أُثْبِتَ له، وإثباته لمن أثبت له، وهذان الركنان هما الأصل.

**أما شروطها**: فلا بد أن تكون صادرةً عن يقين وعلم، يقين لا شك معه، وعلم لا جهل معه، ولا بد لها من شروطٍ لاستمرارها: كالعمل بمقتضاها حسب ما تقتضيه الشريعة، وأما مجرد القول باللسان بدون اعتقادٍ وإيقان فإن ذلك لا ينفع، فنشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

***

(١) تقدم تخريجه.

**(٣٨) يقول السائل: كيف يكون المسلم محققًا لشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله قولًا وعملًا واعتقادًا بحيث يضمن لنفسه النجاة من الخلود في النار؟ وجهونا في ضوء هذا السؤال.**

**فأجاب -رحمه الله تعالى-**: تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، أن يفهم الإنسان معناها أولًا، ثم يعمل بمقتضى هذا العلم، فمعنى لا إله إلا الله: لا معبود حق إلا الله، وليس معناها لا إله موجود إلا الله، بل المعنى: لا إله حق إلا الله، لأن من المخلوق ما عبد من دون الله وسُمِّيَ إلهًا، كما قال -تعالى-: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء: ٣٩] وقال المشركون: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥] لكن هذه الآلهة ليست حقًّا، بل هي باطل، لقول الله -تعالى-: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، وإذا كان لا معبود حق إلا الله وجب على الإنسان أن يجعل العبادة كلها عقيدة وقولًا وعملًا لله -تعالى- وحده، وإذا كان هذا معنى لا إله إلا الله فلا يمكن أن يحققها الإنسان حتى يعمل بمقتضاها، بمعنى: أن لا يعبد إلا الله، فلا يتذلل ولا يخضع لأحد على وجه التعبد والتقرب والإنابة إلا لله -عز وجل-.

ومقتضى هذا أيضًا أن لا يعبد الله إلا بما شرع، لأن الله هو الإله الحق، وما سواه فهو الباطل، وعلى هذا فلا يعبد الله إلا بما شرع على أيدي الرسل -عليهم الصلاة والسلام-.

ولا بد أيضًا لتحقيق شهادة أن لا اله إلا الله من الكفر بما سوى الله -عز وجل- من الآلهة، حتى يتحقق له الاستمساك بالعروة الوثقى، قال الله -تعالى-: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال الله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] فلا بد لتحقيق شهادة أن لا

إله إلا الله من اجتناب الطاغوت، وهو: كل ما عبد من دون الله -عز وجل-، أو تحاكم إليه من دون الله.

***

**(٣٩) يقول السائل: أحسن الله إليكم هناك من يقول بأن شروط لا إله إلا الله السبعة أو الثمانية التي وُضِعَتْ لا يصح أن نسميها شروطًا، لأن التعريف ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود. يقول: فهذه الشروط تلزم كل إنسان، ومتى اختل واحد من هذه الشروط اختلت هذه الشروط. وقيل بأن الأصح أن يقال: من لوازم لا إله إلا الله، لأن اللازم ليس مثل الشروط، فما رأيكم في ذلك مأجورين؟**

**فأجاب -رحمه الله تعالى-**: رأينا في هذا أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بين أعظم بيان ﷺ، سأله أبو هريرة رضي الله عنه: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «**من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»[1]، فإذا قال الإنسان: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه، وقام بلوازم هذه الشهادة العظيمة فإنه مسلم، وأما من قالها غير مخلص في قلبه، كالمنافقين الذين يقولونها اتقاء ورياءً فإنها لا تنفعه، ومن قالها ولم يلتزم ببعض الشرائع فإن قوله إياها ناقص بلا شك، لأن تركه بعض شرائع الإسلام يُضْعِفُ توحيده، وربما ينتفي عنه التوحيد كله، حسب ما تقتضيه الأدلة الشرعية.

***

**(٤٠) يقول السائل س. ع. مصري: فضيلة الشيخ هل الكبار الذين يجهلون معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله مسلمون؟ وما هي شروط كلمة التوحيد وواجباتها؟**

**فأجاب -رحمه الله تعالى-**: الذين يقولون: لا إله إلا الله يجب أن يَعْرِفُوا معناها، وأنه لا معبود حق إلا الله، وأن كل ما يعبد من دون الله فهو باطل،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم (٩٩).

لقول الله -تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢].

**وشروط كلمة التوحيد لا إله إلا الله:** أن يقولها الإنسان بلسانه نطقًا لا بقلبه، وأن يقولها طائعًا مختارًا.

**ويشترط أيضًا:** أن يقوم بما تقتضيه هذه الكلمة العظيمة، ومن أهم ما يقوم به الصلاة، لأن من ترك الصلاة فهو كافر ولو قال: لا إله إلا الله.

ثم إن هذه الكلمة إذا قالها الإنسان وهو يفهم معناها فإنها تستلزم أن يقوم بطاعة الله -عز وجل-، لأن معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، وهذا يقتضي أن يعبد هذا الإله الحق على الوجه الذي أمر به مخلصًا له الدين، مُتَّبِعًا لخاتم النبيين محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

***

**(٤١) يقول السائل ع. أ: في كلمة الإخلاص شروط وأركان، فإذا لم يأت بها المسلم كاملة، فهل يكون قد أدى حقيقتها؟ أرجو الإفادة؟**

**فأجاب -رحمه الله تعالى-:** كلمة الإخلاص هي قول: لا إله إلا الله، ولا يكفي أن يقولها الإنسان بلسانه، لأن المنافقين يقولون ذلك بألسنتهم كما قال الله -تعالى-: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢]، ولكن لا بد من أن يكون الإنسان معتقدًا لمعناها في قلبه، مؤمنًا بها، قائمًا بما تقتضيه هذه الكلمة العظيمة، وهو: التعبد لله وحده لا شريك له، بحيث لا يشرك معه في عبادته ملكًا مقربًا، ولا نبيًّا مرسلًا، ولا سلطانًا حاكمًا، ولا غير ذلك من مخلوقات الله -عز وجل-، كما قال الله -تعالى-: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

**ولهذا جاءت الشريعة الإسلامية بالتكفير في أمور تقع ممن قال: لا إله إلا الله،** مثل كفر تارك الصلاة، فإن من ترك الصلاة كسلًا وتهاونًا يكفر، كما

دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة وكلام الصحابة ﷺ، والمعنى الصحيح بل والنظر الصحيح.

وهذه مناسبة لما وعدنا به سابقًا من أننا سنتكلم بإسهاب عن حكم تارك الصلاة، حيث بَيَّنا فيما سبق أن كفر تارك الصلاة تهاونًا وكسلًا هو مقتضى دلالة الكتاب والسُّنَّة وأقوال الصحابة والنظر الصحيح، وأن ما خالف ذلك لا يخلو من واحد من أمور خمسة: إما ألا يكون فيه دلالة أصلًا، وإما أن يكون وقع من قوم معذورين بجهلهم، وإما أن يكون مُقَيَّدًا بقيد يمتنع معه أن يترك الصلاة، وإما أن يكون ضعيفًا، وإما أن يكون عامًّا لكنه مخصوص بأدلة تكفير تارك الصلاة.

وبَيَّنا أيضًا فيما سبق بأن المراد بترك الصلاة تركها بالكلية، وأما من كان يصلي ويخلي، أي: يصلي أحيانًا ويدع أحيانًا فإنه لا يكفر.

**نحن الآن نسوق ما تيسر لنا من الأدلة الدالة على كفر تارك الصلاة:** فمن ذلك قوله -تبارك وتعالى- عن المشركين: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، فإن هذه الآية الكريمة شرطت لثبوت الأخوة في الدين من المشركين ثلاثة شروط:

**الشرط الأول:** أن يتوبوا من الشرك.

**والشرط الثاني:** أن يُقيموا الصلاة.

**والشرط الثالث:** أن يؤتوا الزكاة.

ومن المعلوم أن ما رُتب على شرط فإنه يتخلف بتخلف هذا الشرط، فإذا لم يتوبوا، ولم يقيموا الصلاة، ولم يؤتوا الزكاة فليسوا إخوانًا لنا في الدين، ولا تنتفي الأخوة الدينية إلا بكفر مخرج عن الإيمان، أما مجرد المعاصي -وإن عظمت- إذا لم تصل إلى حد الكفر، فإنها لا تخرج الإنسان من الإيمان، ودليل ذلك قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ

بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فجعل الله القاتل والمقتول أخوين، مع أن القاتل أتى ذنبًا عظيمًا، توعد الله عليه بوعيد شديد في قوله: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]، وقال الله -عز وجل-: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ ﴾ [الحجرات: ٩-١٠]، فأثبت الله الأخوة بين الطائفتين المقتتلتين وبين الطائفة المصلحة بينهما، مع أن قتال المؤمن من أعظم الذنوب.

فإذا تبين أن الأخوة الإيمانية لا تنتفي بكبائر الذنوب التي دون الكفر، فإن انتفاءها يدل على أن من حصل منه ما يوجب هذا الانتفاء، دليل على أنه كافر، فإن قال قائل: ما تقولون فيمن تاب من الشرك وأقام الصلاة ولم يؤت الزكاة؟ أتُكَفِّرُونه كما تقتضيه الآية، أم لا تكفرونه؟ قلنا: لا نكفره، لأن لدينا منطوقًا يدل على أنه ليس بكافر، والمنطوق عند العلماء مقدم على المفهوم، هذا المنطوق ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار**»[1]، فإن هذا الحديث يدل على أن من لم يؤدِّ الزكاة لا يكفر، لأن قوله: «ثم يرى سبيله: إما إلى النار أو الجنة» دليل على أنه قد يدخل الجنة، ولا يمكن أن يدخل الجنة مع كفره، وعلى هذا فيبقى القَيْدُ في التوبة من الشرك وإقام الصلاة قيدًا معتبرًا لا معارض له،

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم (٩٨٧).

بخلاف قوله: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، فإن مفهومه عورض بمنطوق الحديث الذي ذكرت، فحينئذٍ لا يكون ترك الزكاة والبخل بها مُكَفِّرًا مخرجًا عن الإسلام، على أن من العلماء من قال: إن تارك الزكاة الذي لا يؤديها كافر، وهو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل، ولكن الذي تقتضيه الأدلة أنه لا يكفر، ونحن بحول الله لا نعدو ما دلت الأدلة عليه سلبًا ولا إيجابًا.

**وأما دلالة السنة على كفر تارك الصلاة:** ففيما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[1]، فجعل ترك الصلاة هو الحد الفاصل بين الكفر والإيمان، أو بين الشرك والإيمان، ومن المعلوم أن الحد فاصل بين محدودين لا يدخل أحدهما في الآخر، ويدل لهذا أن لفظ الحديث: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**». فقال: «**والكفر**»، ولم يقل ﷺ: ترك الصلاة كفر، حتى يمكن أن يحمل على كفر دون كفر، ولكنه عرفه بأل، الدالة على حقيقة الكفر، وقد أشار إلى هذا الفرق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم).

**أما الحديث الثاني:** فهو ما رواه أهل السنن عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»[2]، فجعل النبي ﷺ الصلاة الحد الفاصل بين المسلمين والكفار، ومن المعلوم أن الحد يخرج كل محدود عن دخوله في الآخر.

**أما كلام الصحابة** رضي الله عنهم: فقد حَكى إجماعهم على كفر تارك الصلاة عبد الله بن شقيق رحمه الله، وهو تابعي مشهور قال: «**كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة**»[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

وقد حكى إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة إسحاق بن راهويه الإمام المشهور، وحكاه غيره أيضًا.

وأما النظر الصحيح الذي يقتضي أن تارك الصلاة كافر كفرًا أكبر مخرجًا عن الملة: فإنه لا يمكن لمؤمن -بل لا يمكن لمن في قلبه أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان- أن يعلم شأن الصلاة وعظمها ومنزلتها عند الله -عز وجل- ثم يحافظ على تركها، هذا من المحال أن يكون في قلبه شيء من الإيمان، وعلى هذا نقول: إن من كان في قلبه أدنى مثقال حبة من خردل إيمان لا يمكن أن يترك الصلاة تركًا مطلقًا وهو يعلم ما لها من المنزلة العظيمة في دين الإسلام.

وأما الأدلة التي استدل بها من قال: إنه لا يكفر، فقد أشرنا إلى أنها لا تخلو من واحد من خمسة أمور، كما صدرنا ذلك في كلامنا هذا، وإذا تبين قيام الدليل السالم عن المعارض المقاوم فإنه يجب الأخذ بمقتضاه، وإننا حين نحكم بالكفر على من دلت الأدلة على كفره لم نتجاوز ولم نتعد، لأن الحكم بالتكفير أو عدم التكفير إلى الله -عز وجل-، كما أن الحكم بالتحليل، والتحريم، والإيجاب، والاستحباب إلى الله -عز وجل-، ولا لوم على الإنسان إذا أخذ بما تقتضيه الأدلة من أي حكم من الأحكام، وعلى كل مؤمن أن يأخذ بما تقتضيه الأدلة من أي وصف كان، ولأي موصوف كان، وألا يجعل النزاع سببًا موجبًا للتخلي عن مدلول الكتاب والسُّنَّة وغيرهما من الأدلة، لقول الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] وقال -تعالى-: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ١٠].

**فإن قال قائل**: إذا قلت بتكفير تارك الصلاة حصل في ذلك ارتباك وتشويش وتكفير لكثير من الناس؟

**فالجواب عن ذلك أن نقول**: إننا إذا قلنا بمقتضى الأدلة الشرعية فإنه لن

يكون من جراء ذلك إلا ما فيه الخير والصلاح، لأن الناس إذا علموا أن ترك الصلاة كفر مخرج عن الملة ورِدَّة كبرى، فإنهم لن يتجرؤوا على ترك الصلاة، بل سيكون ذلك حافزًا له على القيام بها على الوجه المطلوب منهم، ولكننا إذا قلنا: إنه ليس بكفر وإنما هو فِسْقٌ، فإنهم يتهاونون بها أكثر مما قلنا لهم ذلك إنه كفر، ونحن لا نقول: إنه كفر، من أجل أن نحثَّ الناس على فعل الصلاة، ولكننا نقول: إنه كفر، من أجل دلالة الكتاب والسُّنَّة وأقوال الصحابة على ذلك.

**وأما قول هذا القائل الذي يقول:** إنك إذا حكمت بكفر تارك الصلاة فإنك بهذا توقع الإرباك والتذبذب، وتخرج كثيرًا من الناس عن الملة الإسلامية.

أقول: ما قول هذا القائل إلا كقول من قال: إنك إذا قطعت يد السارق أصبح نصف الشعب مقطوعًا.

فإننا نقول لهذا: إنك إذا قطعت يد السارق فسيقل السراق قلة كبيرة، لأن السارق إذا علم أن يده ستقطع فإنه لن يقدم على السرقة.

وما مثل هذا وهذا إلا كمثل من يقول: إنك إذا قتلت القاتل المستحق للقتل قصاصًا فإنك تضيف إلى قتل الأول قتل رجل آخر، وهذا يضاعف عدد المقتولين، فإننا نقول: إن هذه المقولة مقولة باطلة، أبطلها الله في قوله: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩]، فإن القاتل إذا علم أنه إذا قتل عمدًا سيقتل لن يقدم على القتل، فحينئذٍ يقل القتل عمدًا وعدوانًا.

**والمهم** أنه يجب على الإنسان العالم المتقي لله -عز وجل- أن يكون متمشيًّا مع الدليل حيث ما كان إيجابًا وسلبًا، وإصلاح الحال على الرب -عز وجل- الذي شرع هذا الذي أقدم عليه المفتي والحاكم، والله -عز وجل- لم يشرع لعباده إلا ما فيه صلاحهم وسعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، لا

يمكن أبدًا أن يُشَرِّعَ لعباده ما فيه مفسدة راجحة على مصلحة، كما قال الله -تعالى-: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وأنت إذا حكمت الناس بمقتضى شريعة الله لا بمقتضى واقعهم فإن الواقع سوف يتغير، حتى يتحول إلى مراد الله -عز وجل- في عباده فيما شرعه لهم.

**يقول السائل: في كلمة الإخلاص شروط وأركان، فإذا لم يأت بها المسلم كاملةً فهل يكون قد أدى حقيقتها؟**

**فأجاب -رحمه الله تعالى-**: قلنا: إنه لا يؤدي حقيقتها إذا لم يأت بشروطها ومقتضياتها اللازمة، فإنه ليس المراد من كلمة الإخلاص وهي لا إله إلا الله أن يقولها بلسانه، بل لا بد أن يقولها بلسانه معتقدًا مدلولها بقلبه، قائمًا بما تقتضيه من واجبات وشروط وأركان.

***

**(٤٢) يقول السائل أ. ص: هل من قال: لا إله إلا الله، بدون أن يعمل أي عمل يدخل الجنة؟ أي: قالها بلسانه، لأنه يوجد حديث فيما معناه يقول: «وعزتي وجلالي لأُخْرِجَنَّ من النار كل من قال: لا إله إلا الله»[1]. والله أعلم، ولكم جزيل الشكر؟**

**فأجاب -رحمه الله تعالى-**: كلمة لا إله إلا الله كلمة عظيمة، لو وزنت بها السموات والأرض لرجحت بهن، ومعناها: لا معبود حق إلا الله، فكل ما يعبد من دون الله فهو باطل، لقول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢]. والعبادة لا تختص بالركوع أو السجود، يعني: أن الإنسان قد

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، رقم (٤٢٥) بلفظ: «إن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله».

يعبد غير الله دون أن يركع له ويسجد، ولكن يقدم محبته على محبة الله، وتعظيمه على تعظيم الله، ويكون قوله أعظم في قلبه من قول الله، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، إن أعطي رَضِي وإن لم يُعطَ سخط، تَعِسَ وانْتَكَسَ، وإذا شِيكَ فلا انْتَقَشَ**»[(١)]، فَجَعَلَ للدينار عبدًا، وللدرهم عبدًا، وللخميصة عبدًا، الخميصة: الكساء، مع أن هؤلاء لا يعبدون الدرهم والدينار، لا يركعون له ولا يسجدون له، لكنهم يعظمونه أكثر من تعظيم الله -عز وجل-، وإلى هذا يشير قوله -تعالى-: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فهذه الكلمة كلمة عظيمة، فيها البراءة من كل شرك، وإخلاص الألوهية والعبادة لله -عز وجل-، فلو قالها بلسانه وقلبه فهو الذي قالها حقًّا، ولهذا قال أبو هريرة: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»[(٢)] وقال -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في حديث عِتْبان بن مالك: «**إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»[(٣)]، فلا بد من الإخلاص.

**وأمَّا مَنْ قالها بلسانه** دون أن يوقن بها قلبه فإنها لا تنفعه، لأن المنافقين يذكرون الله ويقولون لا إله إلا الله، كما قال -تعالى-: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢] ويشهدون للنبي ﷺ بالرسالة، كما قال -تعالى-: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١] فلن تنفعهم شهادة أن لا إله إلا الله، ولا شهادة أن محمدًا رسول الله، لأنهم

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو، رقم (٢٨٨٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

لم يقولوا ذلك عن قلب وإخلاص، فمن قال هذه الكلمة دون إخلاص فإنها لا تنفعه، ولا تزيده من الله -تعالى- إلا بعدًا. فنسأل الله لنا ولإخواننا المسلمين الإيقان بها، والعمل بمقتضاها، إنه على كل شيء قدير.

***

**(٤٣) يقول السائل س. م. من جمهورية مصر العربية: يوجد بعض الرجال يقولون لنا: قولوا: لا إله إلا الله تدخل الجنة، فإن رسول الله ﷺ يقول: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، قولًا بلا عمل فقط، فهل هم على صواب؟ أفيدونا وانصحونا بهذا مأجورين؟**

**فأجاب -رحمه الله تعالى-**: ليسوا على صواب، فإن المراد بقول: لا إله إلا الله، أن يقولها الإنسان بلسانه، معتقدًا مدلولها بقلبه، عاملًا بمقتضاها، ولهذا لو قال الإنسان: لا إله إلا الله، وجحد ولو حرفًا واحدًا من القرآن كان كافرًا، ولم تنفعه لا إله إلا الله، ومن قال: لا إله إلا الله، وترك الصلاة مثلًا كان كافرًا، ولم تنفعه لا إله إلا الله، لكن من قال: لا إله إلا الله، وكانت آخر كلامه، فإنه سيقولها مخلصًا لله بها وهو في هذه الحال، لا يستطيع أن يعمل أكثر من ذلك، فتكون مدخلة له الجنة.

***

**(٤٤) يقول السائل: الذي ينطق بالشهادة قبل موته هل يدخل في قول الرسول ﷺ: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»[(١)]؟**

**فأجاب -رحمه الله تعالى-**: إذا قال: لا إله إلا الله، عند موته موقنًا بها قلبه فإنه يدخل في الحديث، ولكن ليعلم أن النصوص العامة فيما يدخل الجنة أو يدخل النار لا تطبق على شخصٍ بعينه إلا بدليل، فمثلًا: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[(٢)]. إذا علمنا أن هذا الرجل كان آخر كلامه

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٧)، أبو داود: كتاب الجنائز، باب التلقين، رقم (٣١١٦).

(٢) تقدم تخريجه.

من الدنيا لا إله إلا الله فنحن نقول: يُرْجَى أن يكون من أهل الجنة، فالْمُعَيَّنُ لا تجزم له، وإنما قل: يرجى إذا كان في خير، أو يخشى إذا كان في شر، لأنه يفرق بين العموم والخصوص، نحن نشهد ونعلم ونوقن أن كل مؤمنٍ في الجنة، فهل نشهد لكل مؤمن بعينه أنه في الجنة؟ فالجواب: لا، لكننا إذا علمنا أنه مؤمن نرجو له أن يكون داخلًا في الجنة، نؤمن بأن الله -تعالى- يحب المؤمنين ويحب المحسنين، فلو رأينا رجلًا يُحْسِنُ ورأينا رجلًا مؤمنًا يقوم بالواجبات ويترك المحرمات فهل نشهد أن الله يحبه؟ فالجواب: لا، لأن التعيين غير التعميم، ولكن نقول: نشهد لكل مؤمن أن الله يحبه، ونرجو أن يكون هذا الرجل بعينه ممن يحبه الله -عز وجل-، وقد أشار البخاري رحمه الله في صحيحه إلى نحو هذا فقال: بابٌ: لا يقال: فلان شهيد. وإن كان قتل في سبيل الله فلا تقل: إنه شهيد، واستدل لذلك بقول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَمُ في سبيل الله -والله أعلم بمن يكلم في سبيله- إلا إذا كان يوم القيامة جاء وجرحه يَثْعُبُ دمًا، اللون لون الدم، والريح ريح المسك**»[1] فقوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**والله أعلم بمن يُكْلَمُ في سبيله**» إشارة إلى أنك لا تشهد للشخص المعين، بل قل: الله أعلم.

وخطب أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فقال: إنكم تقولون: فلان شهيد فلان شهيد، وما أدراك لعله فعل كذا وكذا؟ ولكن قولوا: من مات في سبيل الله، أو قتل فهو شهيد. ففرق رضي الله عنه بين التَّعْيِينِ والتَّعْمِيمِ.

***

**(٤٥) يقول ع. أ. ك: أخبركم أني قرأت في كتاب (رياض الصالحين) عن الإمام المحدث الحافظ محيي الدين أبي زكريا بن شرف النووي أحاديث كثيرة، ومنها: قال رسول الله ﷺ: «من قال في آخر حياته -يعني: عند موته، من**

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم (٥٥٣٣).

**قال-: لا إله إلا الله دخل الجنة»[١]، و«من مات له ثلاثة أولاد أو أقل قبل البلوغ دخل الجنة»[٢]، و«لا يكون لأحد ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو ابنتان، أو أختان، فيتقي الله فيهن ويحسن إليهن إلا دخل الجنة»[٣]. وقال رسول الله ﷺ: «من صام يومًا في سبيل الله إلا أبعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا»[٤]، وقال رسول الله ﷺ في باب يقال له: باب الريان: «يدخل منه الصائمون»[٥]، فإذا كان ذلك من الأحاديث الصحيحة، فما بال آكل الربا، والزاني، والقاتل، والسارق، والكذاب؟ أفتوني بهذه المسألة؛ لأنني في حيرة جزاكم الله عني خير الجزاء.**

**فأجاب -رحمه الله تعالى-**: هذا السؤال مهم، وهو موضع إشكال كما ذكره السائل، لأن ما ذكره من الأحاديث التي ترتب دخول الجنة على هذه الأعمال، يعارضها أحاديث كثيرة تدل على دخول النار لمن عمل أعمالًا أخرى، مع قيام صاحبها بهذه الأعمال الموجبة لدخول الجنة.

**فجوابنا على هذا وأمثاله من الأحاديث، بل من النصوص، سواء من القرآن أو من السنة أن يقال:** إن ذكر بعض الأعمال التي تكون سببًا لدخول الجنة ما هو إلا ذكر للسبب، وكذلك ذكر بعض الأحاديث التي ذكر فيها أن بعض الأعمال سبب لدخول النار ما هو إلا ذكر للسبب فقط، ومن المعلوم أن الأحكام لا تتم إلا بتوفر أسبابها وشروطها وانتفاء موانعها، فهذه الأعمال المذكورة هي سبب لدخول الجنة، لكن هذا السبب قد يكون له موانع، فمثلًا:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين، رقم (١٣٨١).

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في النفقة على البنات، رقم (١٩١٢).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الصوم في سبيل الله، رقم (٢٨٤٠)، مسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام في سبيل الله، رقم (١١٥٣).

(٥) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، رقم (١٨٩٦)، مسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم (١١٥٢).

obeikandl.com

«**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة**»، هذا إذا قالها على سبيل اليقين والصدق، فإذا قالها على سبيل النفاق -وهو بعيد أن يقولها على سبيل النفاق في هذه الحال- فإنها لا تنفعه، وهكذا « **من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الْحُلُمَ كانوا سِترًا له من النار**» هذا سبب من الأسباب، من أسباب وقاية النار، لكن قد يكون هناك موانع تمنع نفوذ هذا السبب، وهي الأعمال التي تكون سببًا لدخول النار، وإن هذه الموانع وتلك الأسباب تتعارضان، ويكون الحكم لأقواهما.

فالقاعدة إذًا أن ما ذكر من الأعمال مرتبًا عليه دخول الجنة ليس على إطلاقه، بل هو مقيد بالنصوص الأخرى التي تفيد أن هذا لا بد له من انتفاء الموانع.

فلنضرب مثلًا: رجل من الناس كافر، ومات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الْحُلُم وصبر، فهل نقول: إن هذا الكافر يدخل الجنة ولا يدخل النار؟ فالجواب: لا.

كذلك في آكل الربا، وكذلك في آكل مال اليتيم، وكذلك في قتل النفس وغيرها، مما وردت فيه العقوبة بالنار، هذا أيضًا مقيد بما إذا لم يوجد أسباب أو موانع قوية تمنع من نفوذ هذا الوعيد، فإذا وجدت موانع تمنع من نفوذ هذا الوعيد فإنها تمنع منه، لأن القاعدة كما أسلفنا هي: أن الأمور لا تتم إلا بتوفر أسبابها وشروطها، وانتفاء موانعها.

obeikandl.com